ارض المعاد

[مهداة .. الى العـائدين الى فلسطين مع الفجر .. غداً .]

انا لحن يفيض بالدمـع والآه ، وناي ملوع الانشاد
جئت أرثي قتلاي في ساحة النور ، وأبكي بعض الدموع بلادي

إخوتي في الحيام ، قدمت إكليلي وفاء ، ولم ازل في حدادي
أحسب النازحين لم يبرحوا الدار سوى امس ، في الصباح النادي
يوم قالوا : غداً نعود .. وما عادوا ، وهاموا في كل قفر وواد
ثم سيقوا الى العراق يعيدون حكايا التـاريخ من عهد عاد
وعلى رأسهم « نبوخـذ » مزهواً بسبي النساء والاولاد
« بابل ، أورشليم » .. ما أحمق الذكرى وأضرى لهيبها في الفؤاد

ذكّروني بالله بالكرمل الساجي على البحر ، بالربى ، بالوهاد
بالظلال الخضراء ، بالكوخ ، بالجدول . ويحي لقد اضعت بلادي
بقيت لي ذكرى اليتيم حبيبه ، ودمع اليتيم في الاعيـاد
بقيت لي من الحديقـة اشواك ، وقلبٌ دام وعين سهاد
ذكروني بالله اطياف ماضي ، أضعت التراث من اجدادي

وأعيدوا في مسمعي بحة الناي ، وما غنى في الرمال الحادي
إنّ « ليلى » هناك لم تبرح الكوخ ، وظلت و « قيس » في ميعاد !
حين مالت على التراب ، وعيناها كنجمين غُبرا بالرماد
خلتني ابصق الحياة الى الريح ، واخشى على الوجود اتقادي
إن « ليلى » هناك ، في هدأة المطلق ، في الصمت في القرار الهادي
لا عَتابا من بعدها توقـظ الفجر وريا الزهور ملء الوادي
وافترقنا ، وحين ولّيت وجهي ، كانت اللثمة الاخيرة زادي
من لماها الصفراء ، من جيدها الذاوي ذليلًا موشحاً بالسواد
من لماها الصفراء ، كالثأر يدعوني ، كهمس الجراح في الاكباد

ذكروني بالله ما كان من أمسي ، وشقوا الي درب جهادي
انا اعمى ، لكنني أقحم الدرب اذا كان خلف دربي مرادي

واذا مت ، فاجعلوا بعد موتي ، قرب صفصافة هناك رقادي
لن يطول الفراق ، في الصبح ألقاكم ، ونزهو بالنصر والاعياد
ويعود البستان ، والكوخ ، والنايُ .. جميعاً لنا بارض المعاد

رام الله — **يوسف الخطيب**

أشياء ، وعيناه قاصرتان . ليس له أفق أبعد من يديه ، من جداره ، من حيه . لأن كل أفق حقيقي أصبح ضمن هـذه الحدود نفسها . فليس الانسان هو الذي ينطلق الى الافق ، الى العالم . بل العالم هو الذي يبرز دائماً ضمن كل حال جزئية يقع فيها هذا الانسان . إن المسافة الحديثة لم تعد طويلة إذ اصبحت للانسان قدرة على اجتيازها ، ليست طويلة ولكنها عميقة .

استطاعت القصة إذن أن تعادل الانسان وأرضه . ولم يستطع الشعر بعد . ومهما لاقينا الشعر في القصة نفسها ، فلا بأس ، بأن نتمنى الشعر مستقلًا .

إن النقطة الأخيرة التي يقف عندها هذا المقال السريع ، هي أننا يجب قبل كل شيء ، ان نبحث عن الانسان في القصيدة ، سواء كان المبدع أو القـارىء ، أو في موضوع القصيدة نفسها .

وكل إنتاج أدبي ملزم لصاحبه . فلا مجال للمغالطة ولا للغش ولا للاصطناع والنية السيئة . واكثر هذا الانتاج إلزاماً لصاحبه هو الشعر . فنحن اليوم نطالب كل إنسان ، اي إنسان عادي ، أن يكون مسؤولاً عن إنسانيته ، التي هي حرية ، وراء عمله ، فكيف الشاعر .. هذا الانسان الى اقصى حد ؟

إنه ليس عنيفاً ، حينما يكتب الشعر ، ليس حركياً ، ليس دموياً ، ليس أرضياً البتة . إنه راصف ألفاظ ، يتاجر بها بين القطيع للفوز بالاعجاب الأبله والمجد .. مجد على قطيع !

فهو تارة قاموس ، وتارة ميزان ، وتارة كتب صفراء ، وتارة ثورة مفتعلة تطيح بكل شيء ، بالشعر ذاتـه ، ودائماً يبقى هذا الشاعر نفسه في كل الحالات . انسان بدون حرارة بدون تجربة . شخص يضع الخطط للفوز ، وليس قصيداً ابداً .

فليكن لهذا المخلوق دم ، قبل كل شيء ثم ليشعر بمسؤوليته عن دمه وعن البقعة التي يقف عليها من العالم ، ثم ليحـاول الشاعر بعدئذ .

دمشق — **مطاع صفدي**